خلود ؟..

بقلم : أنور الجندي

(نظمت يوم كان النصر حلماً يداعب افئدة العرب ، وقد اصبح الحلم وهماً . ولعلها ذكرى دامية لجرح عميق ...)

يرفع الستار عن خيمة متواضعة فوق جبل من جبال فلسطين ، الصبح يتنفس ، فوزي القاوقجي يحدث نفسه . .

فلسطين هذا دمي فاشربي وهذا نشيد العلا فاطربي
فلسطين يامهبط الانبياء ، ومهد المسيح النقي الأبي ....
ويا جنة الأرض ، أنت الظلال ، تلوح للتائه المتعب ....
سأغسل بالسيف ، رجس اليهود ، ولمن يسلم الغدر من مخلبي
أنا ابن الحروب ، أنا ابن الخطوب ، أأحجم والمجد من مطلبي ؟
نذرتك يا نفس للمكرمات ، ومن نذر النفس لم يغلب ....
— سأهدم صرح الأثيم الشقي ، واعبث بالخائن الأجنبي ..
غداً يفتح الفجر أجفانه .... ويهتف للقائد العربي
غداً يستفيق ضمير الوجود ، غداً يلتقي الشرق بالمغرب
غداً تكفهر سماء الحياة ، ويستمتع الليث بالثعلب ....

[يدخل أديب الشيشكلي مدججاً بسلاحه]

سيدي ... سيدي أتيتك والاقلام والمجد في دمي وكياني
زعم الخائنون ، أذليوث العرب ، تخشى توثب الأفعوان ..
أنخاف الردى ، وأنت أبو مروان ....

[فوزي ضاحكاً]

دعهم فالصدق في الميدان
في غد يصمت الجبان وتهذي .... راحتاه ...

[اديب صائحاً]

ويل لكل جبان ....

[صلاح الشيشكلي داخلاً مع بقية المجاهدين]

سنبيد العدو ....

[فتحي الأتالي]

بل سنهز الأرض

[عبد الحميد السراج مشيراً نحو الوادي]

انظر مواكب الشجعان ...
ها هم أقبلوا كأنهم الأقدار تمشي محفوفة بالزمان ....

[حذاء يقترب شيئاً فشيئاً]..

إلى الحرب ، إلى الحرب تراب القدس للعرب ...
أنخشى صولة الذئب أنخشى خديعة الغرب
وهذا الدم في القلب ... ؟

[فوزي منتفضاً]

لبيك ، لبيك يا دنيا أيخدعنا
بميثاق من غدروا في السر والعلن ..؟
لا كنت [فوزي] إذا لم أنتقم أبداً
ولم أمت في سبيل الله والوطن ...

[يدخل الرئيس صفا ، والملازم سليمان نصر ومن معهما من الابطال]

[صفا محييا القاوقجي] .

مرحباً مرحباً أبا مروان ..

[سليمان نصر]

مرحباً مرحباً ربيب الطعان ..
أنت ناديت للجهاد فلبينا وجئنا إليك بالمران ..
لا تقل أحجم الأباة ... [فوزي مقاطعاً]
معاذ الله ان استخف بالعنفوان ..
أنتم النار في الجهاد ، وآساد الميادين ، وازورار السنان

أنتم الموت لليهود . . . . [سليمان نصر هاتفاً]

وأنت السيف في كف أروع متفان . . . .

ما عهدناك غير ليث هصور يتغنى بذكره المشرقان . . .

أنخاف الردى ، وأنت أبو مروان عف الضمير ثبت الجنان؟

[فوزي مربتاً على كتف سليمان]

مرحى لأم أنجبتك وإنه ليلذ لي ان ألمح الاسادا . . . .

أهلوك أهلي في الحروب بلوتهم كسروا القيود وحطموا الاصفادا

لم يألفوا عيداً هناك وإنما ألفوا الحروب فكانت الأعيادا

قنع الجبان بلذة موهومة وقضوا بساحات الوغى استشهادا

« يتوقف القاوقجي بعد ان رأى أكرم الحوراني مقبلا »

« الحوراني »

عم مساء أبا الردى ، عم مساء . . . .

« القاوقجي »

مرحباً . . . .

« الحوراني »

آن أن نعب الدماء . . . . !

اليهود ، اليهود ، عاثوا فساداً .. أفتغضي على الأذى إغضاء ؟

تلك أشلاء يعرب تملأ البيد ، فديت التراب والأشلاء . .

وشباب منعمون تهاووا . . . في الميادين ، عزة وإباء . . .

حاربوا خسة الزمان ، فما ريعت قلوب ، ولا تحاشوا لقاء . .

ومضوا كالمنون ، ينتزعون المجد والحق ، والعلا ، والرجاء

انما تخجل العروبة أن نبقي حيارى ، وان يموتوا وفاء . . .

« القاوقجي »

وقد ظهر على وجهه الألم »

نائب العرب ، أنت أبرع من غنى جهاداً ، فهيج الاعلاما

زعموا أنك الجبان ، وما كانوا كراماً ، كما عهدت الكراما

حلموا ان تموت . . . .

« أديب الشيشكلي مقاطعاً »

بل خسىء الموت . . . .

[صلاح غاضباً]

أديب لقد مللنا الكلاما . . .

لا أحب الكلام ، نحن ليوث الحرب ، نمشي فندرك الأحلاما

ظمئت أضلع المروءة ، وارتجت جبال حسبتها أوهاما . . .

سندوس الدنيا ، فيلتفت الدهر ، ويعنو للثائرين احتراما . . .

[يدخل فجأة عبد العزيز عمان وإلى جانبه شفيق العبيسي]

السلام ، السلام يا سيد الابطال في حرب كل عات عنيد . . .

اليهود المدججون تواروا هرباً من كفاحك المشهود . . . .

« العبيسي »

إيه « فوزي » وأنت خير حسام جردته العلا لنصر جديد

أدرك العرب ، فالزمان حسود للمغاوير ، يا عذاب السود . .

دمع مصر على الخدود ، وهذي القدس ، تشكو تعنت النمرود

وبلاد المليك يرحمها الله مثار الأسى لكل عميد . . . .

« سليمان نصر مندفعاً »

لا تقل ذلت العروبة يا [فوزي] وهانت لشارب عربيد

وامتطا الصعب نحن جندك يا [فوزي] وهدم بنيان تلك الصدود

أقسم المجد ، ان نموت فدى للمجد ، ياغضبة الكمي الشهيد

[الرئيس صفا]

سيدي أنت للحروب ، فهل تصغي . . ؟

[فوزي] تكلم . . .

[صفا] نفسي صبت لليهود . . .

مر أبا الحرب ، فالرجال حوالينا ، ليوث مخلوقة من حديد

لا يهابون في اللقاء المنايا ، والمنايا مفاوز للعبيد

[أكرم الحوراني]

أي شيء هي المنون . !

[صلاح] خيال . .

[سليمان نصر]

أو دمى العيد في أكف الوليد

طال شوقي إلى الدماء ، ومل السيف مني ترددي وركودي

[ينتفض القاوقجي بعد صمت طويل]

يا ليوث الطراد ، في معمعان الحرب هبوا إلى امتشاق الحسام

(يلتفت يمنة ويسرة صائحاً)

أين أبطالي الأباة . . . ؟ وعبد الله . . . ؟

« يدخل عبد الله الثامر مدججاً بسلاحه »

لبيك صرخة الضرغام . . .

نحن جند البلاد ، نحن نسوّر الحرب في كل غمرة وصدام
لا نبالي بالموت ، [خليل كلاس]
حسبك يا هذا . . .
[أكرم الحوراني]
تقدم فالحكم للأيام . . .
ماعهدنا جيراننا في الميادين ، ضعافاً بل دفقة من ضرام
هدموا معقل الفرنسيس في الشرق واستبسلوا غداة الزحام
[فوزي مقاطعاً]
أين أبطالي الكماة المغاوير واين الأباة من عدنان . . . ؟
أين سيف البطولة البكر أين النار أين اللهيب في الميدان ؟
أجمعوا أمركم وهاتوا رؤس البغي تهتف لكم عيون الزمان
ما عهدت اليهود غير جراثيم وباء يزول بالنيران . . .
أين أبطالي الكماة . . . ؟
« أكرم ومن معه صائحين »
أتيناك قلوباً بدرية الخفقان . . .
[غسان جديد وقد أتى من جولة استكشافية]
ما دهى القوم . . . ؟ أي شيء يريد الليث . . . . ؟
« فوزي »
الحرب . . . والردى للجبان . . .
« غسان »
مر أبا الموت ، نحن جندك في الحرب ،
« صلاح »
الى الحرب ، ياليوث الطعان . . .
« ها هو الليل ينشر رواقه على جبال فلسطين ؛ وها هي السماء تتلبد بالغيوم ؛ والمطر ينهمر ؛ والرياح تصفر ؛ وهاهو فوزي يحيط به الضباط والمجاهدون . . . »
« فوزي بعد صمت قصير »
آن ان تهرق الدماء الزكيه في سبيل العقيدة العربية . . .
أزف الموت يا رجال ، فمن منكم يعيد المفاخر الوطنية . . ؟
أفلا تقدمون ، والمسجد الأقصى ، يحي ، فما ترد التحية ؟
اين ابناء يعرب ، اين ابطال الميادين ، ينقذون الضحية ؟
ما عهدت الليوث ، تحجم في الحرب وكانت بالنائبات حفيه .
اين (بلفر) ويصدق (مارشال) وتنحط ربة المدنية . ؟
وتخون البلاد ؟ لا كنت يافوزي وفي القدس حفنة بربرية
اين ميثاقهم و « هتلر » في الكون يدك المعاقل الغربية . ؟
فرية تخجل المروءة منهـا واباطيل غاية همجية . . . .
« يتوقف قليلا ، يلتفت الى من حوله ، محدداً ساعة الهجوم على مستعمرة يهودية »
« فوزي مهدداً »
يا « عين صيحة » لن يكون ثزالك
الا النجيع يسيل من قتلاك .
اظننت انا في الحروب نعـالب الويل للمتبجح الأفاك
ستهز ارضك غضبة مضرية حمراء لم تحلم بغير حمـاك
« يرسم فوزي خطة الهجوم على المستعمرة اليهودية وتطويقها من ثلاث جهات . الضباط في صمت عميق يتأهبون للمعركة الحاسمة فوزي لأديب الشيشكلي وبقية المجاهدين »
اليوم نخلق مجـدا واليوم نحبط عهدا
وعد لبلفر جان هيهات نرهب وعدا . . !
كونوا مع الموت موتاً كونوا مع السيف حدا
لن تستباح بلاد لن يصبح الحر عبدا . .
انتم جنود ، واني ما زلت للجند جندا . . .
[يشتد صفير الرياح ، ويزداد انهمار المطر فوزي موجها كلامه الى الجميع] .
ماذا تقولون يا ابطال . . . ؟
« كلهم بصوت واحد » نحن فدى .
للمجد ، والمجد اقصى غاية البطل
« فوزي يأمرهم بالهجوم »
سيزوا الى الحرب ، فالايام شاهدة
والدهر يرمقكم نشوان بالأمل
« يبدأ صفا وسليمان بالهجوم من الجبهة الجنوبية وأديب واكرم من الجبهة الغربية وفتحي والسراج والعبيسي من الجبهة الشمالية ازبز الرصاص ، زمجرة الرياح العاصفة امطار غزيرة فوزي متفقداً المعركة الدائرة في الجبهة الجنوبية .
ألف مرحى للقائد الجبار أغرق الخصم بالدم الموار . .

لا تلن للعدو ، واضرب بسيف الحق ، فهو الملاذ للأحرار
« صفا متحمساً »
سيدي نحن للعروبة جند افنخشى تزاحم الأشرار . . ؟
حسبنا ان تكون انت غداة الروع درعاً للفارس المغوار
« ينتبه الجميع لزمجرة الرياح »
« سليمان مقاطعاً »
الأعاصير في الحروب ورود ناضرات تفيض بالاوطار . .
— يناوله رأس يهودي قتيل —
هاك رأساً ، وهاك كف يهودي ، تغنى بشعبه المختار
في غد تلمح العيون عدو الله يشكو تنكر الاقدار . . .
— فوزي مترنحاً —
سلم المجد ، بل سلمت الى المجد .
تقدم فأنت ليث القفار .
— يودع الجميع متجهاً نحو الجبهة الغربية —
— فوزي مخاطباً اكرم الحوراني —
نائب العرب ، كيف انت اجبني
— اكرم الحوراني —
بدد الشمل
— القاوقجي —
لا اصدق اذني . . .
أأبيد العدو ام انت قلب يتمني ولا صدى للتمني . . ؟
— اكرم مقطباً حاجبيه —
بل أبيد العدو ، هذي ضحاياه ، وهذي نهاية المتجني
— القاوقجي — وأديب . . ؟
— اكرم —
يقود معركة التحرير
— أديب مقبلا —
اهلا بقائدي ومجني .
— القاوقجي —
كيف حال الابطال ؟
[أديب]
أسد بطاح
أشعلوها وكذبوا كل ظن . . . .
[القاوقجي]
ألف مرحى لهم ، أتؤخذ اوطان وهم للبلاد أمنع حصن
[يودع الجميع متجهاً نحو الجبهة الشمالية . . .]
[فوزي للسراج]
إيه سراج هل ملات من الحرب فاكيت ان تبيد اليهودا . ؟
أي شيء أرى ، أتلك رؤس بددتها يد العلا تبديدا . . . ؟
الدماء ، الدماء ، تهدر . . . .
[السراج]
والاعداء ولوا ثعالباً وقرودا . . . .
صدقوا فرية لأكذب مخلوق ، وراحوا يبنون مجداً جديدا
وترامواعلى يدي ثعلب الغرب ، وظنوه في اللقاء عنيدا .
[العبيسي]
حلم ذل للسيوف ووعد همجي خلفته ملحودا . . . .
القيود ، القيود حطمها العرب وبأبي يجارهم ان تعودا .
[عبد العزيز عثمان]
ذل شعب يروم زلزلة الكون ، ونحن الألى ملكنا الوجودا
[فوزي متهللا]
كيف تنهار أمة أنفت قيدا ، وما زال همها ان تقودا
أنفروا للقاء ، هدوا كيان الخصم ، خلوه للرصاص وقودا
بوزك الشعب يستميت ويفدي . . . بالقرابين حلمه المعبودا
[يسمع القاوقجي أنيناً قريباً ، فيسرع ومن معه نحو مصدره . . جريح يتدفق الدم من صدره . القاوقجي .]
يا جريح الوفاء . . . .
[السراج]
هذي جراح المجد . . . .
[العبيسي]
حييت يا جراح الوفاء . . . .
[القاوقجي]
لا تخف أيها الجريح . .
[الجريح وهو في شبه غيبوبة]
معاذا الله . . . . حسبي من الحياة بلائي . .

(يتحامل على نفسه . . . ويتكلم بجهد . . .)

لا تسلني عن الجراح وقل لي . . أ أبيدت شراذم الأعداء ؟
همي النصر في الوغى ، فاذا مت شهيداً ، فالموت كل رجائي

[يشتد السعال عليه ، ثم يتابع قوله]

أو لم أصرع الجبان بسيفي أو لم أغسل الأذى بدمائي . .
لم أمت مثلما يموت جبان القوم . . .

« فوزي والدمعة في عينيه »

بل مت ميتة الشرفاء . . .

« الجريح متحامل على نفسه »

سيدي أين « أكرم » ، أين « نصر » . . ؟

أين « فتحي » بل أين ليث الجهاد . . . ؟
وأديب وهل ترامى اليه . . . أنني مت في سبيل بلادي؟

« فوزي مرتعشاً »

فشل العدو ، وهاله الاقدام وتهاوت الآمال والأحلام
هذي كتائبنا تعود وانها لكتائب تعنو لها الأيام . . . .
النصر في أحداقها متوهج فكأنه للخائنين حمام . . . .

« يتنعض الجريح ويدخل في دور الاحتضار متمتماً »

بلادي وقد أودعت قلبي في الثرى فداك دم المستبسلين فداك
لئن مت في الميدان ميتة صابر فلا تعجبي اني لثمت ثراك . .

« يسلم الروح مسنداً رأسه الى صدر القاوقجي » . . . .

تهدأ العاصفة ، ويصمت الرصاص

« فوزي مخاطباً من حوله . . مشيراً الى الشهيد »

ارفعوه على الرؤس فقد مات شريفاً كما تموت الأسود . . .
انه مات مخلصاً ، يسأل الميدان والسيف هل أبيد اليهود ؟

يصمت الجميع إجلالا للشهيد . . . ثم يتابع القاوقجي »

أيها الراحل الكريم وفي عينيك وهج العروبة السمحاء
يهرم الكون والزمان وتبقى في كتاب الحياة رمز الاباء
لن تعين العروبة البكر الا في لهيب المعارك الحمراء . . . .
يذهب العمر والشباب ، واقدام الميامين في الوغى للبقاء
هذه شرعة الخلود ، فان رمتم حياة ، فاستبسلوا في اللقاء
ذل شعب لم يسق من دم جلاد ، ولم يغتسل بطهر الدماء

« يصلي المجاهدون على الشهيد صلاة خافتة ثم يؤبنه أديب الشيشكلي قائلا »

يا شهيد الاباء ، مت كما ماتت أسود في ليلة ظلماء
وأرقت الدم الزكي كريما وافتديت البلاد بالاحشاء
لم تفاخر كما يفاخر بالأقوال قوم تلهفوا للثناء
والخطابات في الحروب دعابات صغار تشبثوا بالغذاء
يا أنانية الزعامة والاوهام هذي مصارع الشهداء
هللي للردى وان شئت موتي آية الذل ميتة الجبناء
شرف المجد أن تكفن بالاشلاء في ظل راية حمراء
وللمروءات ان تموت شهيداً في سبيل العروبة العربآء

— يدفن الشهيد بين التهليل والتكبير بينما يتقاطر المجاهدون من هنا وهناك مكبرين مهللين —

الى الحرب الى الحرب تراب القدس للعرب
أنخشى صولة الذئب أنخشى خدعة الغرب
وهذا الدم في القلب ؟
أصوات هنا وهناك تردد الى الحرب الى الحرب

يسدل الستار

أنور الجندي

خماسيات

دعوة من الصميم

أيامي اللهم قد تركت جسدي على حكم الضنا وقفا
كم آيس ضاق الفضاء به يا رب قد أوسعته لطفا
أدرك بقية مهجتي كرماً فلقد تجرعت الأسى صرفا
ان تخف أحوالي على أحد فعليك يا مولاي لا تخفى
أشكال آلامي اختلفن فلا أحسن لها نعتاً ولا وصفا

بين اليأس والرجاء

بوارق آمال تلوح لناظري بطي غيوم ترجحن من اليأس
فوالله ما أدري أأهدى بنورها الى القصد أم يهمي القنوط على رأسي
شقيت ولم أسعد بماض وحاضر فهل ينتهي أمري لمستقبل نحس
ألا ليتني قد كنت أعرف ماغدي كمعرفتي أحوال مامر من أمسي
فان كان خيراً كنت أغضي على القذى
وان كان شراً كنت أسلو عن النفس